أربع قصائد

عبد الرزاق عبد الواحد

ومباركةٌ أنتِ يا أمَّ بيتي...

سبعةٌ وثلاثون عامْ
مثلما نجمةٌ
تركتْ جرحها
عالقاً في الظلامْ
مثلما يعبرُ الآن هذا الغمامْ
عبرتْ أمّ خالدْ..

كم ربيعاً مضى؟
كم شتاءً وصيفْ؟
كم خريفاً بأعمارنا حلَّ ضيفْ؟

كم ضحكنا معا؟
كما ذرفنا على دربنا أدمُعا؟
كم تسرَّبَ من عمرنا من يدينا؟
كم عزيزاً علينا
أصبح الآن طيفْ...؟
كيف لم ننتبهْ أمَّ خالد...
كيف..؟!

* * *

سبعةٌ وثلاثون عامْ
أصبحت كلُّ أصدائها
مثل رجعٍ بعيدْ
رغمَ أنّي أحاولُ،
واليوم عيدْ!
لَيُخيَّلُ لي، أمَّ خالد،
فرطَ ما شمسُ عمري تميلْ
أنَّ ظلّي وظلَّكِ صارا بطولِ ظلال
النَّخيلْ!

ومباركةٌ أنتِ يا أمَّ بيتي
عدَّ كلِّ الأماني
وكلِّ الأغاني
عدَّ كلِّ الدّموعْ
عَدَّ كلِّ الدُّعاء الذي دون صوتٍ
كان يلهجُ بين الضلوع..
عَدَّ كلِّ السَّهَرْ
مباركةٌ عَدَّ نَقْرِ المطَرْ
فوق شبّاكِ غرفةِ نومكِ
بينا صغيرُكِ يبكي،
يُناغي،
ويلعبُ حتى الصباحْ
وأنتِ،
على رهقِ اليوم
عيناكِ شاخصتان لهُ
وذراعكِ تطويه طيَّ الجناحْ...!

مباركةٌ أمَّ خالد
بشموع ثلاثين عاماً ونَيفْ
ودموع ثلاثين عاماً ونيفْ
وكونُكِ جدَّةَ «بارقْ»
وجدَّةَ «سلسل»، و«سيفْ»
وأمَّ بَنيَّ وبنتي
فأنتِ العراقُ بأغلى معانيهِ
طيبتِهِ
وخصوبتِهِ
وليالٍ غَفونا بها كالحمامْ
ثمَّ صرنا معاً، أمَّ خالد،
على كِبرٍ لا ننامْ..!

سهرٌ على مهودٍ فارغة

عشرين عاماً كنتَ أعمى
عشرين عاماً كنتَ مخدوعاً
وجرحك كان يَدْمَى.
عشرين عاماً
أيُّها المذبوح بين عسى... ولـمّا
حتى إذا أبصرتَ،
كان الموتُ أسبقَ منك سَهْما...

أدري بأنَّك صادقٌ في كلِّ ما نزفتْ
جراحُكْ

أدري بأنَّك قطُّ لم يخفقْ على وَشَلٍ
جناحُكْ
ونكفتَ حين السَّاحُ ساحُكْ
عن أن يُقال ظَلَمتَ... أو
عصفتْ بلا سببٍ رياحُكْ..

والآن حبُّكَ صار همّا
والآن صارت كلّ هاتيك المُنى
أسفاً وغمّا.

مَن ذا يُصدّقُ
أو علامَ يصدّقونك يا مُدمَّى
ما دام جرحُكَ لا يبيحُ له نزيفُكَ أن
يُسمَّى؟!

ما دمتَ لم تفقأ عيونَكْ
ما دمتَ لم تُنْشَرْ مع الأموات،
كيف يصدّقونَك؟
والنّاس...
حتى لو تموت،
على الكفاف سيذكرونك!
سيُقال كان كذا.. عفاه الله..
أو يتجاوزونَكْ..

أسفاً عليك، وكنت غالي
أن يستبيحك من يشاء،
وأن تبعثرك الليالي.
أسفاً عليك،
وأنت في الستّين،
أن تبقى تُلالي
ومهود عشقك كلُّها خويتْ،
وأنت بها تغالي.
وتظلُّ تدمى
ويظلُّ جرحُك
لا ينام مع الجراح
ولا يُسمَّى.
عريان،
يحمل راعف الشريان
بين عسى... ولـمّا.
أنفاً
ويدري أنَّ سهمَ الموت
أوجرَهُ، وأصحى...

انثيالات جنوبية

أيُّها النَّهرُ
أنتَ أبٌ
للنَّوارس فيك ملاعبُها
للضفادع فيك مساربُها
للسَّمَكْ
مثلما للنَّخيلْ،
فرقُ ما بينها
أنَّ هذي تحلّقُ
والنَّجمُ بين مناقيرها
مفعمٌ بالبريقْ
بينما هذه
تتقاقزُ في جوف غرينها
وهي تملأ خضرتَهُ بالنَّقيقْ..

وتظلُّ الشَّواطئ،
بَرديُّها والقصَبْ
ويظلُّ النَّخيلْ
ملعباً للعصافير في الفجرِ..
مبكى الفواخت عند الظَّهيرهْ
وارتجافَ زعانفِ حمريَّةٍ
علِقتْ في جذور الشَّواطي أسيره...

أيُّها النَّهرُ،
أنت أبٌ
كلُّ ما فيك،
حتى رواسبُكَ الخافيه
وهي تقذف في وجهنا الطين
تمنحنا الحبَّ،
والدِّفءَ،
والعافيه..

مانحاً شرفي ولدي
مثلَ سقراط،
في بلَدي
سأموتْ...
بيَدي
أرفعُ السُّمَّ نحو فمي
لا أبيع دمي
أو أدور به في القرى والبيوتْ..

بغداد